المصـــــدر : اليمامة
التـــاريخ : 26-11-2005 العـــدد : 1883
الصفحـات : 24 المسلسل : 12

ملف صحفي

المصـــــدر : اليمامة
التـــاريخ : 26-11-2005 العـــدد : 1883
الصفحـات : 24 المسلسل : 12

الحِوارُ (بوابة العهد الجديد)

بقلم: سهام بنت صالح العبودي (*)

(إننا في هذا الوطن الحبيب لم نحقق ما حققناه من أمن وأمان ورخاء ورفاه إلا بفضل العقيدة الإسلامية ثم بفضل تمسكنا بوحدة هذا الوطن وإيماناً بالمساواة بين أبنائه، وإن أي حوار مثمر لا بد ان ينطلق من هاتين الركيزتين ويعمل على تقوية التمسك بهما فلا حياة لنا إلا بالإسلام ولا عزة لنا إلا بوحدة الوطن).

(خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز)

بعد سنوات من الآن ستظهر جدوى المركزية التي يحظى بها الحوار اليوم، وستتجلى قيمة نقله من خانة الموارية في العلاقة بين الأطياف إلى سمة الجوهرية في نشاطات الحياة المختلفة.

إن رداء الأهمية القصوى الذي خلعته الدولة على الحوار منذ سنوات قريبة، وتبناه خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز - حفظه الله - أسلوباً لإدارة الدولة لا يخضع لمفهوم التنازلات التي تظهرها جهة ما، أو فئة بعينها بقدر كونه وعياً، وثقة بأن ما قد يقوله الآخر المقابل على طاولة التحاور ليس بالضرورة قاتلاً أو مؤذياً، بل لعله الأقدر على إكساب الجهة المقابلة قوتها، بتصحيح المفاهيم، وإزالة الغشاوات، وردم خنادق الخلاف التي تقطع الطريق على التواصل المُثري.

إن هذا التأكيد لقيمة الحوار الذي يظهر في أحاديث المليك عبدالله بن عبدالعزيز ليس مجرد تجريب غير معلوم النتائج، أو ضرب من التصادم مع مجهول بقدر كونه حدساً تهينه القراءة المتفهمة لمعطيات المرحلة، والتواصل المثمر مع دروس الماضي، فالتحاور جوهري لا لأنه قيمة شكلية يتزين بها الحاكم ليبدو أكثر ديموقراطية وعصرية وانفتاحاً بل لأنه إدراك عميق يؤمن بأن النصيحة موجودة كي نبذلها، وبأن النقص موجود كي يكتمل في صورة تمام، وبأن الخطأ موجود كي يحقق الصواب ظهوره على حسابه، وبأن الصواب المطلق غير موجود بل توجد خانة قريبة من الصواب، وهي خانة لا يمكن أن ينجزها طرف واحد، ولا شخص واحد، ولا فئة واحدة كما أن القدم الواحدة لا يمكن أن تنجز أكثر من خطوة واحدة، ونحن - في هذا الوطن - ننظر بعينين متفائلتين إلى مستقبل من آلاف الخطوات.

تقول أودينا هولمس: (كلما أحسسنا ذواتنا أفضل، انتفت الحاجة إلى أن نلغي الآخرين من حولنا)، إن الحوار - وحده - هو الأقدر على الوصول بالانسان إلى أقصى إمكانات نضجه الفكري والروحي: فهو الذي يلغي الصوت الأحادي المسيطر، وهو الذي يؤمن الذي يتعزز ويعلو بوجود الآخرين لا بإلغائهم، ولو كانت الثقة تتعزز بهذا الإلغاء لما كان خليفة راشد بحجم أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) يتجه إلى الناس، ويرخي ظل سمعه إلى نصحهم، ويتمنى عليهم أن يصوبوه إن نزح إلى باطل في يوم ما، وليس الصديق كأحد منا اليوم، ولسنا بمعزل عن زلل تقومه مرآة صادقة يرفعها طرف آخر في جلسة حوار حضاري.

إن الفكرة الصحيحة تستمد مزيداً من الصحة والقبول بكونها فكرة قابلة للنقاش، ومعروضة للنقد، ومن هنا كان انطلاق صناع القرار في هذا العهد الجديد - بقيادة الملك عبدالله - نحو تأصيل الحوار، وتحويله من آلية واجبة ربما لا يستسيغها البعض إلى أسلوب حياة ومنهج عيش وتعايش، فهو قبل كل شيء نهج إسلامي: فالإسلام كان الداعي الأول إلى فكرة الشورى، وإلى التمحيص قبل القبول، والاقتناع اليقيني قبل الجزم، واختبار الآراء قبل العمل.

إن صمود الأمم هو نتيجة حتمية لقدرتها على التكيف مع التغيرات المختلفة، وإلا فإن المعاكسة والتصلب في الرأي هما طريق الفناء، والحوار - بلا جدال - هو قطب رحى التغيير المدروس والمأمول الذي سوف ينقلنا نحو المستقبل: ففيه ستعبر كل الفئات عن حاجاتها، وستطوع أجهزة الدولة لخدمة هذه الحاجات، وستتجدد الأجهزة العضوية لجسد البلاد فتقاوم شيخوخة الجمود، والعجز.

لربما كان بريخت جازماً حين قال: (حين يفرغ الحاكمون من كلامهم، سوف يتكلم المحكومون) ولكننا أكثر جزماً حين نقول بأننا نمتلك وطناً فريداً حيث لا أحد يصمت كي يتكلم الآخر، ولا أحد يسلب حق من كان في الحديث، أو التعبير، لكننا نتبادل أدوار الكلام، ونتقاسم الحق في طرق القضايا الكبيرة والصغيرة بقدر متساو من الحرية والشفافية، إننا حيث يستمع طرف للآخر كي يجد مادة كلامه القادمة، وكي تعود للكلام صورته التبادلية الجميلة الفاعلة، الصورة التي ينجز بها المجتمع المتحضر فروض نهضته المرتجاة.

(*) قاصة سعودية ومحاضرة بكلية التربية للبنات/ الرياض.